يا طائر الأحزان

حلمي صابر – صفر 1445هـ

____



قصتنا واحدة : قصتك كقصتي

خائفا، طريدا ، مشردا ،

جئت عند شجرتك لألقاك ، جئتكَ لأسريَّ عن نفسي مما ألاقي

فرأيتك ميتا ،

وحيدا !

لم يكترث بك أحد ، ولم يبالي

لم يدفنك أحد بالتراب ويواري !

مجروحا ومهموما ، فيا أسفي

صارت رؤيتك ، كمدا في قلبي

منكسِرٌ عليك ،

أردت أن أفرحَ بك ،

فصار فرحي بك ، أحدُ أحزاني

فرحي يحزن !

فماذا عن أحزاني ؟!

ما الذي جرى ؟ هل أنت ميت ؟ أم كنتَ مقفوصا ؟!

هل نسوكَ في الشمس والتعذيب ، فيبستَ ؟!

أم من التعذيب والصعق حتى لنفسك أُنسيتَ ؟!

هل أرادوا أن ينتفوا لسانك وجناحيك ، فامتنعتَ ؟

هل رشوكَ ، وما رضيت ؟

أخبرني يا صاحبي

يا طائر الأحزان

يا حزني عليك

هل كنت لاعبا لم يكافئوا قدميك ؟

هل كنت مديرا في وزارة الإسلام ، ولعبتَ بها بقدميك ورجليك ويديك

صنفتَ العلماءَ والدرسَ

ومن لم يَرُقْ منهم في تصنيفك

في السجنِ والمنع وتحت التراب ، له واسيتَ

وعند سؤالك بِلِمِ ؟ أجبتَ: المنعُ من جهات أمنية ؟!

سؤال: أرني تقاريرهم الأمنية ؟

ربما ، تتخفى بدعوى الجهات الأمنية ، وأنتَ على الأمنِ ، الجاني !

وهل في الجهات الأمنية من يعبث بالتقارير مع الجامي ؟!

هذا يحدث في كل العالم ، وليس في العالم العربي المعاصر الآني

يُلعبُ بالصلاحيات الإدارية، فيحبسه ، ويمنعه ؛ ويحذفه

لأنه ليس على خُطى الجامية

طَلَبٌ يا أصحاب النزاهة والمحاسبة ومجالس البرلمان والشورى :

سائلوا هذه الإدارت لِمَ للخطيب منعوا ؟

ولم لطلب الدرس الجديد في نظامه منه حذفوا ؟!

أليس النظام الحاسوبي ينبئُ عن الأشخاص الذين فيه عاثوا وعبثوا ؟!

لا أظنك يا نزاهة في العبث ، أنتَ معهم ؟!

ألا ينبئُ هذا النظام عن تقرير الأمن المزعوم المختلق ؟

أين إدارات الأمن عن العبث بهذا الأمن ؟!

أتظن أيها الجامي المتخفي ، أننا عنك لا ندري

ليت النصح معك ينفع . وهل النصح ينفع لمن بهواه يعادي ؟!

جيمتَ الإسلام الصحيح ، وجعلته الإسلام الجامي ؟!

احذرْ : فمن عادى أولياء الرب ، كان ربنا لهم مُعادِي

القرآن والسنة والصحابة هم الوسطُ

ومن فارقهم كان هو الجاني

اختزلتَ هذا الإسلام العظيم في ثقب عقلك الصغير الجامد

من ساقه الهوى ، فهو به أعمى . ومن زُيِّنَ له هواه ، صار به أعمى ثانٍ

يا طائر الأحزان:

لماذا قتلوك ؟

لماذا حبسوك ؟

ما الجرمُ الذي اقترفته ؟

ألأنك في السماء حلقتَ ؟!

أم لأنك بصوتك الجميل كتبتَ ؟!

يا طائر الأحزان

أخذتُ جسمك الميت إلى حديقة الورود

وحفرتُ حفرة صغيرة

وغسلتك

وكفنتك

ثم دفنتك

بين الطيور والعصافير

وصار قبرك ذكرى

تتجدد به أحزاني

يا طائر الأحزانِ

قبرك في صدري

وفي خاطري

وفي عقلي وقلبي

أسائل الشمس كل صبح

وأسائل القمر كل ليلة

وأسائل الأقفاص ومن خلفها

وأقولُ لنفسي صبرا

يوما يوسف – عليه الصلاة والسلام – حبسته امرأة لشهوة

وحينما رأت وزيرها فجأة

كذبت وقالت عن يوسف – عليه الصلاة والسلام – هو الذي أغواني

كذبت الزوجة

كما كذب الجامي !

عاودتْ الكرَّةَ عن قصد ورغبة في القصر أمام النسوة . ولو أجابهم ، كلهنَّ به سيعبثنَّ

" معاذ الله " كان السجنُ له منهن أحبَّ

ماذا تقولُ عن الجاني إذا عاودَ الجرم كرة وكرة ؟

وماذا تقول عن الجامي إذا عاود العبثَ بالنظام وبالأشخاص المرة تلو المرة ؟!

كم من المظلومين من العلماء والدعاة والخطباء والمؤذنين والأئمة

افترى عليهم الجامي بالنظام نفسه

يا عابد النظام كيف بالنظام لنفسك به عبدتَ ؟!

من سجدَ لك عينته ، ومن كفر بك وبجاميتك ،

على المقصلة قطعته وشنقته ؟!

يا قضاة النزاهة ، يا مدققي المحاسبة والرقابة:

ألا يوجد عندكم معايير أدائية لمراقبة الجامي في أدائه ؟!

كم مفصولا ! وكم ممنوعا ! وكم … وكم … ؟!

والتبريرُ مشخصنٌ على مقاس الجامي : لدواعٍ أمنية ،

ستجدها نفس الإجابة

ظريفٌ جدا : أنَّ من يحفظ الأمن الفكري،

عابثٌ بالفكر وبالأمانة ؟!

أليس عندكم عن هذه الأرقام إجابة ؟! حاذرْ تقاريرهم في إحصاء العددِ والمعدود

قد يصير الواحدُ عشرةً ، والمائةُ صِفْرًا ؛

لا يُبقِ الجاميُ عددًا لتلاعبهِ، يُقالُ المرء بطلبٍ مباشرٍ شفوي بلا خطابٍ رسمي ولا ورقٍ !

عجيبٌ ما يجري ، والأعجبُ منه ألا تدري !

أينما توجهتَ

في كل بلد عربي وكوري وصيني وهندي وأفريقي وأوروبي وشرقي وغربي

الأمينُ يُخَوَّن ، والخائنُ يؤتمنِ !

يا طائر الأحزان

لا تلمني

قبرك في صدري

جمر يحرقني

ويكويني

حكيتُ لك بعض ما على فوهة بركاني

فكيف لو دخلتَ بركاني ؟!

أنا لا أحرقُ ؛ بل أبْعِدُ عنكَ لسلامتك ، لهيب جمراتي

نثرتُ لك بعض بقايا رمادي ،

فازرعْ برمادي

يا طائر الأحزان

فرحي يحزن

فماذا عن أحزاني !

انتهى